Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الأسرار البيانية والمقاصد البلاغية من ورود الأمر في القرآن العظيم والرد على مطاعن المخالفين

The Eloquent Mysteries, Rhetorical Finalities of Imperative in the Noble Quran, and Response to the Violators

Moulay Mehdi Jouani
Department of Classical Arabic Literature, Faculty of Arts and Human Sciences, Cadi Ayyad University, Morocco
aborayhanalbironi@gmail.com

ملخص

مقال بياني بلاغي في الرد العلمي المفصّل على المذهب اللاّعلمي المنكر لسنة الحبيب والمفتي ببطلان ركنية وفرضية الصيام ، من الناحية البلاغية والبيانية والمقاصدية لورود الأمر في القرآن العظيم؛ أما عن منهجي في الرد فكان متأثرا في النقد بمنهج الدكتور الناقد المصري مصطفى ناصف في كتابه" قراءة ثانية لشعرنا القديم "[1]، حيث جعل بنية الشعر العربي مادة معقدة تحتاج إلى قراءة "أوتبسية" عميقة بلغة الطب تتوغّل في جسد المادة المدروسة وتستخرج أسرارها الغميسة وحقائقها النفيسة بدل القراءة "الأناتومية" السطحية المتسمة بالانطباعية، وهي في نظره ونظرنا قراءة متجاوزة عفا عنها الزمن، وأما هدف البحث فهو بيان أسرار الأمر البيانية البلاغية في القرآن العظيم من خلال الدفاع عن لغته المعجزة من مطاعن الجاهلين بها وطعون الحاقدين الغافلين عن مقاصدها، ومن أهم ما توصّل إليه البحث هو الكشف عن خبايا هذا الكتاب الخالد من الناحية البيانية ذات المقاصد الشرعية وخلُص إلى ضرورة التصدي لتأويلات المبطلين بمنهج علمي رصين ودرس نقدي قويم.

الكلمات المفاتيح: البيان، البلاغة، الأمر في القرآن الكريم، النقد

Abstract

A meticulous rhetorical article in a detailed scientific response to the non-scientific doctrine that denies the Sunnah of the prophet (PBUH) and attempts to nullify the cornerstone and the hypothesis of Fasting, from a rhetorical and intentional perspective of the occurrence of the matter in the holy Qur'an. My method in response was influenced by the approach of the Egyptian critic Dr. Mustafa Nassef in his book "A Second Reading of Our Old Poetry", where he made the structure of Arabic poetry a complex subject that requires a thorough analytical reading, in a medical sense, in order to dive into the body of the studied material and extracts its deep

[1] Nāṣif, M. Qirāah Thāniyah li Shī'rinā al-Qadīm. Dār al-Andalūs.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

secrets and psychological facts instead of the superficial anatomical reading influenced by the Impressionism, which in his view and ours is an outdated reading. As for the goal of the research, it is to fathom out the secrets of the subject's rhetoric in the Great Quran, by defending its miraculous language from the insults of the ignorants and the appeals of haters who are unaware of its purposes. He concluded that it is necessary to confront the misconceptions of the invalidators with a sober scientific approach and a sound critical lesson.

Keywords: eloquence, pragmatics, imperative in the Quran, criticism

Article History:

Received: *06/04*/2022 Accepted: *24/04*/2022 Published: *31/07*/2022

المقدمة

إن ردي هذا ليس ردا على شخص معيّن بل هو رد جعل من نفسه منهجا عمليا وعلميا في ردع كل من أراد التفلسف على لغة كتاب الله تعالى ، ذلك التفلسف الأسود المتطاول على أحكام الشارع الحكيم انطلاقا من التلاعب المفرط الأرعن بعلوم اللغة العربية لغة الوحي العظيم ، فهو رد مقاليّ يروم الذود عن حياض لغة الشرع الكريم ، بأسلوب يزاوج بين الدقة العلمية والمنهج الأكاديمي ،فهو لا يشهّر بأحد ولا يرمي إلى الانتقاص بزيد أو بعمرو ، { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } – هود:88-.

إنّ ردي هذا كان مفصّلا ومدقّقا حيث ما تركت شاذّة ولا فاذّة تتعلق ببيان حكم بلاغيّ أو مقاصديّ لحكمة ورود الأمر في كتاب الله تعالى، إلا وأوردتها مبينة بتأصيلها العلمي على أمّات كتب العلم المعتبرة التي كنت درستها أو درست منها، وقد تتبّعت جميع طرق المطاعن، بالبراهين القواطع، والدلائل السواطع، وحشوت هذا المقال بكل فائدة عنّت لي ثمينة، وطرّزته بكل واردة جليلة، فكان الرد على ما يبدو لي موسعا لأمرين اثنين :

– **الأوّل منهما** : لأن سقطات هؤلاء الذين يسمون أنفسهم مفكّرين ومجدّدين كثيرة وعميمة، وهي على ضعفها الشديد، خفنا أن يتّبعها من لا علم عنده فتنقدح نار شبهة في قلبه تصيّر نهاره رمادا دامسا لا يدري الصواب من الخطأ، فارتأينا أن نرد على قدر خوفنا على قَرَأَتنا وطلابنا بردّ كل مطعن بحق يدمغه.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

– **الثاني منهما** : لأني أردت أن أجعل هذا الرد العلمي درسا نظريا وتطبيقيا لجيلنا الجديد وما بعده يتدارسونه بينهم، في كيفية الرد على المخالف منهجا ومعرفة قائمتيْن على تدبّر عميق لآيات الذكر الحكيم .

منهج الدراسة وإشكالية البحث:

تأثر منهجي النقدي بكتاب جليل القدر، فعندما درست كتاب الأستاذ الدكتور البدراوي زهران أستاذ اللسانيات بالجامعة المصرية الذي يرد فيه على مطاعن الدكتور لويس عوض، والذي أسماه دحض مفتريات[2]، استفدت منهجيا من هذا الرد أمرين اثنين جعلتهما منهجا لردي هذا، وسببا كافيا في شحن معارفي وتجييش دلائلي في إبطال هذه السقطات المهينة:

– **أوّلهما** : أنه لا يُخاف على الإسلام من أعدائه فهو محفوظ بنا أو بغيرنا، لأن حافظه هو الله تعالى، ولكننا مع ذلك نرجو منه سبحانه أن نكون من عباده المخلِصين المخلَصين في الدفاع عن حوزة الكتاب الكريم، كما أنه ما أنزل الله تعالى آية إلا وجعل فيها من العلوم العظيمة ما لا يعلمه سواه، الأمر الذي أكده الإمام ابن العربي في كتابه الجليل " قانون التأويل "، وطريقة أعداء الإسلام عجيبة، فالدكتور لويس عوض مثلا أراد الانتقاص المجاني المشين من لغة القرآن العظيم، فأتى بكل عُوَيْر وكُسَيْر وثالث ما فيه خير، لا لشيء إلا لتضعيف العاطفة تجاه هذه اللغة الكونية المقدسة، فكتب كتابه " مقدمة في فقه اللغة العربية"، حشا فيها سمومه للقارئ العربي بدعوى أن الكتاب في فقه اللغة وهو أبعد عن الفاء من فقه اللغة بعد المشرقين عن المغربين فضلا عن المفهوم كاملا.

– **ثانيهما** : رد الدكتور رجاء النقاش على الكتاب كان في غاية الأدب، حيث أكّد أن الفكر لا يُحارب إلا بالفكر، ومصادرة الكتاب ليست حقا لأي أحد معتبرا أن الرد العلمي قائم على مبدأ ردّ الحجة بالحجة، إذ هو الكفيل لإسكات لسان باطله.

لذلك ارتأيت أن أرد بتفصيل مسهب وبلغة زاوجت بين الكلاسيكية والحديثة، والأسلوب الساخر على خزعبلات هذا المذهب المتهاوي، كما أنّي نظرت في المذهب الأدبي الكاريكاتوري النقديّ التهكميّ للإمام صلاح الدين بن أيبك الصفدي في كتابه "اختراع الخُرَّاع"[3] فوجدته كسرا لشوكة المتعالمين الخنفشاريين المتهكّمين في كل زمان ومكان،

[2] Zahran, A. Daḥḍ Muftarayāt. Rābiṭat al-‘Alam al-Islāmī.
[3] Al-Safadī, S. Ikhtirā’ al-Khurā’.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

فاتخذته مسلكا من مسالك الردّ؛ حيث أبو الطيب المتنبي طبيب جراح عاش في العصر الجوراسي، وأفلاطون شاعر عباسي وسقراط كاتب أندلسي مرموق، فكل هذه الهرطقات المعرفية تعكس كل هذه المغالطات المعرفية التي يلوكها منكرو السنة بكل وقاحة وصفاقة، مما يجعل هذا المذهب في الرد متهافتا لا يستند إلى أيّ أساس ولا ينبني به ساس، حيث مذهبهم المهلهل هو كالردّ على السؤال التالي: لماذا السماء زرقاء؟ فكان الجواب: لأنها ليست خضراء!

وسنرد على كل ذلك من خلال ثلاثة محاور تحتها مباحث معنونة:

-المحور الأول: الجهل العريض الذي عجزت الرياضيات عن تفسيره :

-المبحث الأول: المعاني الغميسة والمقاصد النفيسة للفعل "كتب" وعلاقتها بفنّ الأشباه والنظائر في كتاب الله تعالى :

- يدّعي هذا المذهب أن الفعل كتب يعني ضم الشيء إلى شيء، من ذلك سُمِّي الكتاب كتابا لأنه يضم أشياء كثيرة، وهذا حق لا غبار عليه، كما حددته قواميس اللغة وحواشيها وكتب فقهها وأدبها، ولكن ما لايعلمه أن الفعل كتب في أصله يعني خرز، فالكاتب هو الخرّاز أي الإسكاف صاحب الخِرازة، وكَتَب الجلد أي ضمّ طرفيه وخاطهما، لذلك استعمله الإمام أبو محمد القاسم بن عثمان الحريري ملغزا في مقاماته المقامة الشتوية حيث يقول على لسان بطلها أبي زيد السروجي:

* وكاتبين وما خطّت أناملهم حرفا ولا قرؤوا ما خُطَّ في الكتبِ[4]

فكتب قبل أن تعني فرض أو تعني مادة الكتابة بمعناها الاصطلاحي أي دوّن أو سجّل أو زبر وما شابهها في المعنى، فإن الكلمة وافدة علينا من حرفة الإسكاف، ولقد أفاض في شرحها لغويا وفقهيا الإمام الأجلّ أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي الأندلسي صاحب أفضل شرح وأوسعه للمقامات الحريرية، كما فصّل في المادة الإمام ابن السّيد البطليوسي الأندلسي في الاقتضاب. وأنا أسأل الآن أتباع مذهب إنكار السنة النبوية هل وقفتم على هذه الدرر الغوالي والغرر العوالي لمادة كتب قبل أن تسقطوا في المهالك وترتعوا في الحوالك ؟!

[4] Al-Ḥarīrī. (1978). Maqāmāt al-Ḥarīrī. Dār Bayrūt.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

إنّ السياق هو الذي يحدد المعنى بدقة، فمن قال إنّ كتب الغلام رسالة، معناه خرزها لكان بهذا التّحذلق المتعالم قد خالف العقل السليم والمنطق الحكيم والذكاء العاطفي و الحس الشعوري، ولضحك منه الصبيان، ولاكت مهزلته النسوان .

– فن الأشباه والنظائر القرآني ومعاني مفرداتها في ضوء نظرية النظم بين الجاحظ والخطابي والجرجاني:

– إن الدارس لعلم نظرية النظم التي كان مبدؤها مع أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في القرن الثالث من كتابه الرائد المفقود "نظم القران"، ومرورا بالقرن الرابع مع أبي سليمان الخطابي البستي الذي طعّمها بمفهوم السياق الرابط بين اللفظ والمعنى من رسالته البيانية في الإعجاز، ليتبصّر بمواطنها الجليّة القائمة على جوهرها الأساس وهو السياق الجامع للفظ والمعنى، وبمعنى آخر التصالح البياني لمذهب اللفظيّين الرافعين لراية شأن اللفظ كالجاحظ صاحب المقولة السائرة: "والمعاني ملقاة في الطريق يعرفها العجمي و العربي"[5]، في مقابل الأسلوبيين الرافعين لراية المعنى كابن رشيق في عمدته الذي اعتبر اللفظ جسدا والمعنى روحه[6].

ونحن إذا علمنا هذا وتقرر عندنا ، فإننا لا نتجاوز فضل المقولة الخطابية التي هي لحمة هذا التوافق العلمي وسداه البياني، وهي قوله: " لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم "[7]، فما معنى هذا الكلام كله وعلاقته بما نحن بصدده ؟

الفعل كتب فعل قرآني عربي وظّفه كتاب الله في مواطن معروفة ومعدودة، ومادام تشرّف هذا الفعل أن دخل إلى عالم القران الكريم فإن نظرية النظم بأبعادها اللفظية والمعنوية والسياقية الدلالية ستطِلُّ بظلالها عليه، فحقيقة الفعل كتب لفظا واشتقاقا قد علمنا مادتها الفقهية سلفا في الدرس المقاماتي البليغ، بين الاستعمال الوظيفي الحريري والشرح الشريشي، والآن سنحرر مواطن معانيها في ضوء علم الأشباه والنظائر من منظور نظرية النظم .

إن المعلوم بطبيعة الوظيفة السياقية الاستعمالية للغة يحتم تباين المعاني للفظ الواحد داخل سياق واحد أو سياقات متعددة، فالكاتبون في لغز الحريري في مقامته الشتوية لا ينصرف إلا للإسكافيين من باب الضرورة المعنوية

[5] Al-Jaḥiẓ. (1968). Al-Ḥayawān. taḥqīq: ‘Abdussalām Hārūn. Maṭba’at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī. Vol.3 pg. 131-132.
[6] Al-Qayrawānī. (1907). Al-‘Umdah. Maṭba’at sa’ādat. Ṭab’at ūlā.
[7] Al-Rummānī, Al-Khaṭābī, Al-Jurjānī, Thalāth Rasā’il fī I’jāz al-Qur’ān. pg. 27
[8] Iqbāl, A. (1987). Al-urzi wa mā Ilayh.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

المقتضية لمنطق العقل، وإلا فنسأل هؤلاء، أيُّ معنى للكاتبين الذين لم يقرؤوا أيّ كتاب ولم تخطّ أناملهم حرفا ولا زبرت كلمة ؟!

لا شكّ – إن كانت لكم مسكة من عقل تحترمونها – أنْ ستقولون إنَّ للكاتبين معنى آخر بعيدا غير المعنى القريب المتداول ؟ فإن سقطتم في هذا المبدأ لفظيا ، وقعتم عندنا سياقيا فيما تحتّمه نظرية النظم من منظور الإمام الخطابي ، وهنا سنتوجه إلى فضيلتكم بالسؤال : وما الذي جعل لفظ الكاتبين يتزيّ بلَبوس آخر في معناه غير المتداول الشائع ؟!

لا غرو مرة أخرى إن كانت لكم ذرة من منطق العقل أنكم ستقولون إن السياق هو الذي ألبس لفظ الكاتبين معنى آخر ؟! طيّب، وما المؤشرات الدلالية التي اعتمدها السياق اللغوي حتى استنبطتم منها أن اللفظة تحتمل ضرورةً معنًى ثانيا ؟!

لا ريب للمرة الثالثة، أن قرائن منع تفسير الكاتبين بالكتّاب الذين يزاولون الكتابة بمعناها الاصطلاحي خاضعة لكلمات حددت ذلك وهي :

"وما خطت أناملهم ، ولا قرؤوا ما خُطَّ في الكتب " ، مما يدخل القارئ في موجة العجب الذي أبعد عن عقله المعنى المتداول القريب، ليسبح إلزاما في البحث عن المعنى البعيد في تلافيف كتب اللغة وقواميسها علّه يقع على المراد، وبما أن المسألة فيها قريب وبعيد، مع نفي القريب بقرائنه والتنقيب عن البعيد كانت من قبيل الإلغاز، المشتق من ألغز الضَّبُّ إذا دخل في التواءات جحره في أعماق الأرض، ولعلّامة مراكش وأديبها "الشرقاوي إقبال" كتاب "في اللغز وما إليه"[8]، فعلى الجاهل أن ينفض الغبار عن عقله مما علق فيه من تكلّسات الجهل العريض و ترسّبات التعالم الممقوت المريض .

– المبحث الثاني: مذهب إنكار السنة الشريفة يتجرّأ على علوم اللغة الصيّنة وفنونها القويمة :

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

هذا المذهب المتخاذل لا أبالغ إن وصفته بفيلسوف المطاعن في لغة كتاب الله تعالى، فهو تيّار ينفي علوما لغوية عتيدة أجمع عليها أئمة الإسلام لغويين وفقهاء وأصوليين ومفسرين وفلاسفة، وعلى رأسها علم الجناس اللغوي أو ما يصطلح عليه بالمشترك اللفظي، الذي تفرّع عنه علم الإلغاز وعلم الملاحن وعلم الأشباه والنظائر القرآني.

– أوّلها فن الإلغاز :

فن الإلغاز كما رأينا أيتها القارئة الكريمة ويا أيها القارئ الكريم، يقوم على تقديم معنى قريب للكلمة في مقابل البحث عن معنى بعيد لها، وهو فن تداولته الكتب بالتحليل ككتاب شيخنا الشرقاوي السالف الذكر مثلا، وقد تفنّن في التأليف فيه أيضا جمع من علماء النحو وأئمة اللغة، ومنهم إمامنا جار الزمخشري في كتابه "الأحاجي النحوية"[9]، و الإمام الجلال السيوطي بعده في أحاجيه المسماة بـ "الطِّراز في الألغاز"[10]، كما أني قد قرأت له رحمه الله من مقاماته مقامة في الألغاز النحوية، طُبعت في مجموع مقاماته النادرة تحت إشراف الأستاذ مرزوق علي إبراهيم بعنوان "ما لم ينشر من مقامات الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي"[11].

– مثال تطبيقي لنسف دواعي المذهب الخُنفشاريّ المتعالم :

– لو قال لك أحدهم :

إنَّ هندُ المليحةُ الحسناءَ وأيَ من أضمرت لخلٍّ وفاءَ[12]

والبيت من شواهد العديد من كتب الأحاجي النحوية، هل ستحمل "إنّ" هنا بمعناها النسخي المعروف على اعتبار أنها ناسخ حرفي ينصب المبتدأ ويرفع الخبر ؟!

لو قلتم بذلك لاعترضكم رفع هند والأولى نصبها لو كانت ناسخة ، ثم سيعترضكم رفع الجميلة وهي نعت لها والأولى نصبها، كما أن الصفة "الحسناء" التابعة للموصوف هند الأولى رفعها بدل نصبها ، فكيف ستخرجون من مأزق هذا التنوع الأعرابي للكلمة وصفاتها ، هل ستركبون رؤوسكم وتنفون سياق النص ولحاقه وسباقه، وتصرون على

[9] Al-Zamakhsharī. (1969). Al-Aḥājī al-Naḥwiyyat.
[10]Al-Suyūṭī. (2003). Al-Ṭirāz fī al-Rāz.
[11]Mā lam yunshar min maqāmāt al-Suyūṭī.
[12]Al-Anṣārī, I. Mughnī al-Labīb. Vol. 1 pg. 19

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

سلوك درب مغلق لا نهاية له كما فعلتم في تأويلكم الذي لا يخضع لأي ذرة من منهج منطقي، بله أن يكون عقليا أو معرفيا في قوله تعالى : (كُتِبَ عليكم الصيامُ) .

إنَّ كلمة "إنَّ" هنا فعل وليست حرفا ، وهو مركب من الفعل ونون التوكيد الشديدة ، وتخريج البيت كالتالي :

إنَّ هندُ المليحةُ الحسناءَ وأي من أضمرت لخلٍّ وفاءَ

إنّ : فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، وفاعله محذوف لالتقاء الساكنين، وهو ياء المخاطبة بسبب اتصال الفعل بنون التوكيد، والنون نون التوكيد الثقيلة، والفعل إنَّ من الفعل (وأى) بمعنى وعد ومضارعه (يئي) وأمره (إه) للمذكر هكذا بهاء السكت التي تثبت وقفا وتسقط وصلا بإجماع الأوّلين والآخرين، و(إي) للمؤنث.

هندُ : منادى مبني على الضم في محل نصب علم مفرد .

المليحةُ : صفة مرفوعة وعلامة رفعها الضمة تبعت المنادى في اللفظ .

الحسناءَ : صفة منصوبة وعلامة نصبها الفتحة، تبعت المنادى في المحل .

وها أنتم الآن شاهدتم أيها القراء الأماجد الكرام كيف للكلمة العربية من قوة دلالية تمكِّنها من أن تحمل معاني كثيرة، يمكن توظيفها في الألغاز بين المعنى القريب والمعنى البعيد، وذاك لرياضة العقول وتثقيفها وترويض النفوس وتهذيبها ، ولو اتبع الناس خرافات التعالم الخنفشاري لسقط فن الألغاز العريق جملة وتفصيلا، ولألغى الناس عقولهم في تأويل ما لا يؤوَّل إلا حسب سياقه، فاتقوا الله في حدود كتاب الله ولغته.

– فن الملاحن :

وليس ببعيد عن فن الإلغاز فن الملاحن الذي هو فن عتيد يُبرز ما للعربية من مُكنة عجيبة في التوظيف الدلالي للكلمة، ونحن نسوقه هنا للرد العلمي الرصين على هؤلاء وأضرابهم، الذين ينفون دلالة الكلمة حسب سياقها، في حين أن هذين الفنين، يقومان أساسا على استعمال كلمة ذات معنيين اثنين: معنى قريب للذهن ومعنى بعيد جدا،

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

والمطلوب هو المعنى البعيد، وأقدم من ألّف فيه إمامنا العلم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد في كتابه " الملاحن "، فهل يعرف المنكرون الإمام، أم هل شمّوا ذرة من رائحة علم الملاحن بلهَ أن يفصّلوا قضاياه ؟!

– مثال تطبيقي عمليّ :

جمعت من هذا الكتاب جملة عصيّة كنت قد أعلنتها جهارا في إحدى محاضراتي العلمية في علم البلاغة أثناء تقديمي لشرح "الجوهر المكنون"[13] للشيخ العلامة عبد الرحمن الأخضري رحمه الله، في مؤسستنا الرائدة العالمية ابن تاشفين للدراسات والأبحاث والإبداع، أتحدّى بها جميع المتفلسفين على لغة القران العظيم، فإن عجزوا عن حلها، وهم لا محالة أعجز، فليعلموا أن اللغة لها خبراؤها المخلِصون، هم أولى بها من غيرهم، ولها علماؤها المخلَصون ينفون عنها ذُبَابَ التافهين، ويردعون أن يصلها القذى من هؤلاء المتطاولين، يحوطونها برعايتهم كما تحيط الأهداب الوطفاء بالعين النجلاء الحوراء .

* الجملة هي كالتالي :

– زار زيدٌ عمرا فَرَآه منبطحاً وأعلَمَه مستلقيًا، ثم زاره جدلانَ، وأخبره بشاة علّه يسامحه عما بذر منه.

يبدو أن هذا التيّار و زمرته سيُصابون بعُطاش رهيب ودُوار عظيم مع رُهاب مزمن، إذا ما قرؤوا جملة الملاحن هذه، فمذهبهم خِلو من مبادئ اللغة، لا يفرق كوعا من بوع، ولا يميّزُ الكعب من الكُرْسوع .

إن هذه الجملة المليئة بالملاحن لتنسف بالبرهان القاطع و الدليل الساطع تجريد الكلمة كيفما كانت من سياقها الدلالي المحدد لمفهومها الوظيفي داخل الجملة.

إنَّ زار الأولى لا تعني – يا هداكم الله – الزيارة بمعناها العام، وإنما تعني سياقيا بدلالة ما سيأتي في الجملة – وسنشرحه بحوله تعالى – الزَّوْرَ وهو الصدر ،والفعل منه زاره يزوره، أي ضربه على زَوْرِه أي في صدره، ثم رآه بعدها لا تعني الرؤية البصرية وإنما تعني أنه ضربه في رئته، وهي مشتقة من الرئة، يقال رأى فلان فلانا أي ضربه في موضع رئته.

[13] Al-Akhḍarī. Al-Jawhar al-Maknūn.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

أمّا أعلمه بعدها فهي كأخواتها لا تعني الإعلام بمعنى الإخبار، وإنما تعني سياقيا أن زيدا لم يكتف بضرب عمرو في صدره ورئته بل تعدّاه إلى أن ضربه على شفتيه فشقَّ العليا منهما، يقال: الرجل الأعلم أي المشقوق الشفة العليا في مقابل الأفلح المشقوق الشفة السفلى، وقد جمعهما إمامنا جار الله الزمخشري في بيتين له كما في ديوانه الذي جمعه الدكتور.

عبد الستار ضيف حيث يقول :

* وأخّرني دهري وقدّم معشرا على أنهم لايعلمون وأعلمُ

ومذ أفلح الجهالُ أيقنت أنني أنا الميمُ والأيّامُ أفلحُ أعلمُ[14]

والمعنى واضح بيّن حيث إنه كناية عن عدم قبول الناس لمقام الإمام لعلمه وفضله،كما لا تقبل الشفة العليا والسفلى المشقوقتان إخراج الميم الجميلة اللينة لأنها حرف شفهي، فتنقلب المزايا عيوبا، وتستحيل المقابح محاسن عند معميّ البصيرة.

– مسميات هذا الفن وأصوله :

– هذا الفن كله نواسف محرقة لادعاءات المذهب الجهول الذي يفسّر كتاب الله تعالى على هواه، متَّبعا جهلا حالكا أرداه من علُ صريعا في محيطات الخزي والعار، هذا العلم ينتمي للعلم الأم فن الجناس اللغوي، وقد أفرد له الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام تفاصيل في كتابه المعجمي العظيم "الغريب المصنَّف"[15]، ومن الدارسين من استلّ منه تلك التفاصيل وجعلها كتابا مستقلا، ويُسمَّى أيضا بفن "المشترك اللفظي" ، وبما "اتفق لفظه واختلف معناه"[16]، وهو عنوانٌ لكتاب العلامة الإمام أبي السَّعدات ابن الشجري في الموضوع ذاته، والشاهد عندنا أنه فن يقوم على ما يسمى حديثا بالشرح بالنموذج والشرح بالمقارنة أيضا، وهما فنان ندرّسهما لتلامذتنا، وحبذا لو كان هؤلاء معه ليغسلوا عقولهم من أدواء الجهل المقيت.

– فهل نزل القرآن بهذا الصنف من الفنون ؟!

[14]Al-Zamakhsharī. (1980). Dīwān al-Zamakhsharī.
[15] Ibnu Salām. (1996). Al-Gharīb al-Muṣannaf.
[16] Al-Shajarī. (1992). Mā Ittafaqa Lafẓuhu wa Ikhtalafa Ma'nāhu.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الجواب نعم ، لكنّه نزل بمسمى آخر حيث يسميه العلماء بالأشباه والنظائر، فالملاحن في كلام العرب، والأشباه والنظائر في كلام رب العالمين، ومن الدارسين من يعترض على مصطلح المشترك اللفظي في حق كتاب الله تعالى، ومنهم أستاذ النحو بالجامعة الكويتية الدكتور عبد العال سالم مكرم في كتابه "المشترك اللفظي في الحقل القرآني"[17] .

– ذباب هذا التّيّار يتهافت أمام شمس مقامات الحريريّ :

لو قدّر لهؤلاء أن يقفوا أمام ساحل مقامات الحريري الطاهرة ، ذات الأمواج الزاخرة ، والدرر الباهرة ، والغرر الناضرة ، لأعماهم جمالها ، و أصابهم بالدُّوار كمالها ، إذ من عاش على السطح أو حاذاه ، عاف العمق وتأبّاه .

سنفتح لكل منكر متسرّع متطاول المقامة الطيبية ، وسيجد صداعا رهيبا يتملّكه من ذرّات دماغه وبصلته السيسائية ، جرّاء خوائه العلمي وإفلاسه الفكري ، الذي سيتكشّف لديه عند قراءة أول كلمة منها. لقد استدعينا هذا المذهب لهذه المقامة بالذات لنؤكّد لهم ، أن في كلام البشر ما ينوء عن استيعابه العقل من كثرة ما يستعمل في اللغة من ملاحن لغوية وأحاجٍ أدبية ملغزة وكلها تمتح من معين الجناس ، ولنقرأ مثلا قول الحريري ملغزا سؤال الناس الذين اختبروا أبا زيد السروجي بطل المقامات :

قال: أيجِبُ الغُسْلُ على منْ أمْنى؟ قال: لا ولوْ ثنّى[18] .

هيه يا منكري سنة الحبيب، يا من اتّبعتم مذهب الخرافات و مجرى الخزعبلات، أتدرون ما معنى أمنى هنا ؟!

هل ستلغون باب الملاحن والجناس والمشترك اللفظي من تاريخ اللغة العربية التي قلبتم لها ظهر المِجَنّ ، وتقولون إن لها معنى واحدا وهو القريب من الذهن بمعنى خرج منيّه؟ أتدرون ما الذي يدفعكم إلى ذلك فضلا عن جهلكم الأعظم باللغة ؟! إنه كبركم وعنادكم اللَّذان أطفآ ما بقي من شعاع شمعة عقولكم ،فعشتم في ظلمات لا تكادون تبصرون شيئا سوى هوى نفوسكم المريضة المخالفة لكل ماهو معلوم بالضرورة شرعاً ولغةً وعقيدةً .

[17] Makram, A. (1996). Al-Mushtarak al-Lafẓī fī al-Ḥaqlu al-Qur'ānī.
[18] Al-Ḥarīrī. (1978). Maqāmāt al-Ḥarīrī. Dār Bayrūt. pg. 256.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

لو أنكم فسّرتم كلمة أمنى هنا بمعناها الأول لاعترضكم سياقيا جواب البطل حيث أثبت صحة صلاة الممني الذي لا يجب عليه الغسل ابتداءً وانتهاءً ، وأكّدها بقوله : ولو ثنّى ، أيْ ولو أمنى مرة ثانية ، إذاً بعد هذا كله ، تعالوا أعلِّمْكم المعنى الثاني البعيد للفعل الذي لا يعرفه إلا دارسو اللغة وعلماؤها .

الفعل (أمنى) على وِزان أفعل وصيغة أفعل في العربية من معانيها الدخول والحلول في المكان ، كما في علوم الصرف العربي ، وكما تعلّمناه أثناء دراستنا المعمقة لأوائل لامية ابن مالك مع حواشيها وطُرَرِها، فتقول أعرق لمن حلَّ العراق، وتقول أشأم لمن حلَّ الشام، وتقول أتهم، وأنجد لمن حلَّ تِهامة ونجدا، وتقول أمنى لمن نزل منى، ومِنًى بكسر الميم وفتح النون، هي وادٍ تحيط به الجبال، تقع في شرق مكة، على الطريق بين مكة وجبل عرفة، ونزولها لا ينقض الوضوء ولا يوجب الغسل، أفهمتُم أم هِمتُم ؟!

المحور الثاني: بلاغة الصوم والصيام في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الفروق الدلالية.

بعد هذا التطواف العلمي كله، وهذا الجولان المعرفي، الذي أبنّا فيه بالدلائل الناسفة القاطعة والبراهين الماحقة اللامعة، حمق دعاويكم في إبطال السياق لتحديد معنى الكلمة العربية، نلج إلى عالم النص القرآني، مع مناقشة تهاوي تأويلاتكم الباطلة في إبطال ما اتفق عليه الجن والإنس والملائكة والحشرات في فرضية رمضان وصومه وصيامه.

قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا كُتِب عليكم الصيام كما كُتِب على الذين من قبلكم } سورة البقرة – الآية رقم 183.

وقوله تعالى : { فمن شهد منكم الشهر فلْيَصُمه } سورة البقرة الآية رقم 185 . و مناقشة دعوى هذا التّيّار المفلس الباطل.

– اختلال منهجي ، ومنطق أعرجُ غائبٌ لا يجي .

– اختلَّ منهجهم اختلالا يقصر عنه الوصف، وأوقعه الجهل المركّب في الطامات العظام، وذهب يهدي بما عجز عن الإتيان به باقل المأفون وهبنّقة المجنون و أبو غبشان المغبون .

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

– الفرق بين الصوم والصيام :

– من هؤلاء من يقول بكل بَجاحة وجَراءة على الله تعالى وعلى دينه: إن الصوم ليس هو الصيام ، حيث إن الصيام هو الانقطاع عن شهوتي البطن والفرج، وأما الصوم فيكون في الانقطاع عن الكلام، وأتى بآية من سورة مريم، يقول فيها مولانا الكريم مخاطبا مريم بنت عمران رضي الله عنها:

{ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا } سورة مريم – الآية رقم 26.

في حين أنّ الصيام وهو خاص بالانقطاع عن الأكل والشرب مع شهوة الفرج ، فيُستشهد له بقوله عزّ من قائل : { كُتِبَ عليكم الصيام }.

وأنا أتساءل قبل أن أصحح له الخطأ العلمي الذي تسرّب إليه من التفقه من معلومات يجدها على صفحات الفيس المارد الأزرق لا يعلم مصدرها ولا مرجعها، أتساءل ما المنفعة المنهجية وأنت تنفي فرضية صوم رمضان أن تأتي بفوارق أنت تجهلها أصلا و تجعلها بين كلمتي الصوم والصيام ؟!

إن إتيانه الفرق الخاطئ بينهما إلهاء للقارئ متعمد من منهج مريض ومذهب سقيم معلول، وهذا مسلك كل الأفّاكين الباثّين للسموم في جسد الأمة، كالدكتور عوض والدكتور الملحد جلال العظم، وغيرهما حيث يعمدان إلى التواري بمعلومات علمية فيها نظر منهجا كَحِيلةٍ سقيمة يريدون بها إثبات تمكّنهم المتهاوي في عقل القارئ الغِرّ، ولكن الله تعالى قيّد لهذه الأمة فحولا علماء وعفاريت نبهاء يذبّون عنها هذه الأوساخ، ويذودون عنها تلك البهرجات الفارغة.

– حقيقة الصيام والصوم :

لفظ الصوم أعمّ من لفظ الصيام، فحيثما أطلق الصوم أريد به الصيام من جهة، وأريد به الانقطاع عن الكلام وغيره أيضا من جهة ثانية، ولنثبت ذلك، نستدل لهذا المدّعي وأضرابه، بكلام فطحل من فطاحل اللغة، وإمام من أئمتها إنه صاحب المقامات الحريرية التي يعتبرها العلماء "قرآن المقامات" لجودتها الفائقة وبلاغتها الرائقة التي بزّت العلماء وحيّرت البلغاء، إنه الأديب الفريد والكاتب البليغ الوحيد أبو محمد القاسم بن علي الحريري رضي الله عنه، يقول في مقامته الطيبية:

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

قال: فإنْ ضحِكَتِ المرأةُ في صومِها؟ قال: بطَلَ صومُ يومِها[19].

فتعلَّموا قبل أن تُعلِّموا، فمن العار أن تتصدَّروا مرتقى صعبا وأنتم مازلتم في مرحلة الحبو تتعثّرون، ها أنتم الآن رأيتم الصوم كما في شاهدنا يدلُّ على صيام أيام رمضان، ومنه مانقله صلى الله عليه وسلم عن ربه في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به "[20]. فعبّر عن الصيام بالصوم.

ولكي أضربكم بمنجنيق الردود الكاوية ، أعود لما كنت بدأت به ردودي عليكم ، فأسائلكم ما معنى ضحكت المرأة في المثال؟! أتحدّاكم لو أجبتموني مجرّد ذرّة من جواب، إذاً لقدمت استقالتي من الكتابة والتعليم في الحال ، ولاعترفت لكم بكل فضل ومزية ، ونفيت عنكم كل نقيصة ورديّة، ولكن قبّح الله الجهل يا كرام ، فماذا تعني ضحكت يا سادة ياعظام ؟

إن الضحك كما في قواميس اللغة وكتب الفقه من معاني الحيض ،يقال ضحكت المرأة حاضت ، ومنه قوله تعالى : { ... وامرأته قائمة فضحكت فبشّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب } من سورة هود – الآية رقم 71 ، وهو من شواهد الشريشي في شرحه للمقامات ، ومن معانيه أيضا الإعصار ، يقال أعصرت الجارية إذا حاضت فهي مُعْصِر ، كما في معجم " بهجة النظر " لأحمد النّقوي وغيره[21]. فكيف بالله عليكم تأتّى لنا شرح الكلمة بمدلولها البعيد الثاني إن لم نستند للسياق ؟!

المبحث الثاني: بلاغة الفعل "كتب" في القرآن الكريم.

بعدها ننتقل للمعنى الدلالي للفعل "كُتِب على" المفترى عليه ، في الأساليب العربية ثم ننتقل بعدها راشدين بفضله سبحانه لمناقشة توظيف القرآن العظيم لهذا الأسلوب انطلاقا من تأصيل المادة اللغوية:

إن الفعل العربي بإجماع جميع علماء اللغة من أولهم إلى آخرهم المطبقين دون أن يشذ عن قولهم أحد، أنّه يتلوّن معناه من سياق استعماله كما أصّلنا آنفا وأطنبنا مسهبين في ذلك، ثم هو تختلف دلالته بتنوّع حرف الجر المتعلق به، ومن ذلك الفعل نظر، ولي فيه أبحاث مطوَّلة، سأجتزئ منها اقتباسات هنا لما يفي الغرض فقط، ومن أبدع من

[19] Al-Ḥarīrī. (1978). Maqāmāt al-Ḥarīrī. Dār Bayrūt. pg. 259.
[20] Al-Bukhārī, M. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī - Dār Ibnu Kathīr.
[21] Al-Naqawī, A. Bahjat al-Naẓr. Dār al-Intishār al-Gharbī. pg. 11.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

لخّص مادته بدقة الإمام أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي في كتابه " ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري "[22]، وأنا إذ أسوق هذا الكتاب بالذات، فلأنه يناقش المتنطّعين الذين نفوا رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة ، وعقدتهم في ذلك هي نفس عقدة هؤلاء، إذ هي التغافل المتعمّد في الغالب لتعدية الفعل بحرف جرّه، فقوله تعالى: { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } – سورة القيامة – رقم 23 ، تنصرف لرؤية العين خاصة بالإطباق بين جميع قبائل العرب، فالعرب عندما تعدّي الفعل نظر بفي يكون معناه إعمال الفكر في القضية ،تقول مثلا نظر فلان في الأمر أي تفكّر وأعمل نظره فيه، فإذا عدّيته باللام فقلت نظر فلان لفلان يكون معناه تدخّل لأجله في أمر معين، فإذا تعدّى بإلى كان معناه النظر بالعين أي الرؤية الحقيقية بجارحة العين، وعليه فُسِّر قوله تعالى "إلى ربها ناظرة "، على مختلف تفسيرات أهل السنة، أي النظر بالعين نظرا على وجه الحقيقة المادية، ولا وجه لجار الله الزمخشري رغم تمحلّه عفا الله عنه في لَيِّ عنق الآية لصالح معتقده الاعتزالي الذي تاب منه كما في "طلعة المشتري" للصغير الإفراني وهو مفقود[23]، وكما في "المستقل بالمفهومية" لشمس الدين الراعي الغرناطي الأندلسي[24]، فإن تاب هؤلاء الكبار، فلماذا لا يتوب صِغار الصغار ؟! ، هذا وإنّ لنا لردودا على إمامنا جار الله الزمخشري رحمه الله في تأويل الآية الكريمة، لا وجه في بسطها الآن.

نضيف إلى هذا الفعل دعا أيضا ، حيث يتغير مدلوله بدلالة حرف الجر المتعلق به ، فدعا له ليست هي دعا عليه ، فالأولى في الخير والثانية في الشر. ومنه الفعل كتب محور مناقشتنا وأساس مناظرتنا ، فكتب بإجماع علماء الأمة إذا تعدى بحرف الجر على يفيد الوجوب والإلزام، فتقول كتب القاضي على فلان كذا أي ألزمه وفرضه عليه، وروى هذا أئمة اللغة كابن منظور في اللسان، والإمام المرتضى الزبيدي في التاج، بل وحكاه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بما يحويه من كبار علماء اللغة وفطاحلة الأدب والبلاغة، وذلك في معجمه الشهير " المعجم الوسيط " .

– سيف هذا التيار الخشبيُّ الفليل ، أمام الترسانة النووية من العلماء الفطاحيل :

يخرج علينا أحدهم ، ليخالف جمهور العلماء بسقطاته التي لا تعد من الأساطير البالية ، ولا الخرافات النابية ، بل هي وحيدة فريدة في جرءتها على كتاب الله تعالى بكل معنى للكلمة ظاهرا وباطنا ، وهاكم أيها القراء الأعزاء جزءا مما قرّره كبار أئمة اللغة ودارسوها وعلماؤها في مادة (ك ت ب):

[22] Al-Maqdisī, A. (2007). Dawū al-Sārī ilā Ma’rifat Ru'yat al-Bārī.
[23] Al-Ifrānī, A. Ṭal’ah al-Mushtarī (kitāb mafqūd).
[24] Al-'Arnatī, M. (2012). Al-Mustaqil bi al-Mafhūmiyyat fī Ḥal al-Alfāẓ al-Ajrūmiyyat.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

– جاء في لسان العرب لابن منظور[25]: قال الله تعالى : " كُتِبَ عليكم القِصاصُ في القَتْلى " ،وقال عز وجلّ :" كُتِبَ عليكم الصيامُ " معناه فُرِضَ، وقال :" وكَتَبْنا عليهم فيها " ، أَي فَرَضْنا ، ومن هذا قولُ النبي صلى الله عليه وسلم لرجلين احتَكما إِليه : لأَقْضِيَنَّ بينكما بكِتابِ الله أَي بحُكْم اللهِ الذي أُنْزِلَ في كِتابه أَو كُتُبِه على عِبادِه ولم يُرِدِ القُرْآنَ لأَنَّ النَّفْيَ والرَّجْمَ لا ذِكْر لَهُما فيه .

– وجاء في تاج العروس للزبيدي[26]: قال اللهُ تَعَالَى : " كُتِبَ عَلَيْكُم القِصَاصُ " وقال عَزّ وجَلَّ " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ " مَعْنَاهُ : فُرِضَ . قال : " وكَتَبْنَا عَلَيْهِم فيها " أَي : فَرَضْنا ..

هذا بالنسبة للمعاجم اللغوية الأصول ، فيا ترى هل المعاجم المعاصرة الحديثة خالفت المعاجم التراثية القديمة ،واجتهدت في تفسير مادة كتب على بخلاف ما أجمع عليه أئمة اللغة ، أم أنهم لما رأوا المادة لا اجتهاد فيها أبقوا المادة كما هي ، ومَا بدّلوا تبديلا.

– لنقرأ معا في " المعجم الوسيط " الحديث الصادر عن المجمع اللغوي بالقاهرة[27]: قَضَاهُ وأوجبه وفرضه وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز { كتب عَلَيْكُم الصّيام كَمَا كتب على الَّذين من قبلكُمْ } .

– وفي معجم الرائد المعاصر الحديث للأستاذ اللغوي جبران مسعود :

1– الكتاب : صور فيه الأفكار والألفاظ بحروف الهجاء. 2– عليه الأمر : قضى به عليه، أوجبه . 3– عليه الطاعة: أمره بها[28]

بل لو أن هؤلاء التائهين ، كلّفوا نفوسهم أن يبحثوا في محفظة تلامذتنا في السنوات الابتدائية ، لوجدوا كتابا معاصرا لغريب القران العظيم للأستاذ حسنين مخلوف أسماه " كلمات القرآن تفسير وبيان " ، بخصوص مادة كتب حيث سيجدون ما يلي : كتب : قضى وأوجب ، تفضّلا وإحسانا[29].

[25] Ibnu Manẓūr. Lisān al-‘Arab. Dār al-Ma’ārif. pg. 700.
[26] Al-Zabīdī, M. (1984). Tāj al-‘Arūs. taḥqīq Ibrāhīm al-Turzī. Dār al-Iḥyā' li al-Turāth al-‘Arabī. Vol. 2 pg. 351.
[27] Majma’ al-Lughat al-‘Arabiyyat. Al-Mu’jam al-Wasīṭ. Vol. 2 pg. 466.
[28] Mas’ūd, J. (1992). Al-Rā’id. pg. 658.
[29] Makhlūf, H. (1995). Kalimāt al-Qur’ān Tafsīr wa Bayān. pg. 23.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

ولأن المقام لايسمح فسأكتفي بهذا الذي بسطناه ، وإلا فمئات كتب الغريب القرآنيّ واللغويّ والمعجميّ ، كلها مجمعة على أن مادة "كتب على" لا معنى لها سوى فرض وحتّم وألزم ، ولكن لا حياة لمن تنادي .

– تطاول المنكرين ، بتأويلاتهم السافرة على كتاب الله تعالى ربّ العالمين :

يقول أحدهم : إنّ كتب تعني جمع في أصلها وهذا يعني أن { كُتِبَ عليكم الصيام } أي فيها مجموع معان عدة فأين معنى الفرضية فيها ؟! فبالله عليكم – معشر القراء الأفاضل – أيّ عقل هذا يمكن أن يمتلك ذرة من بوتاسيوم الثقافة و حُفَيْنَة من ألمنيوم المعرفة وصوديوم المنطق، يقول مثل هذا التحليل ؟! فما علاقة مدلول كتب بمعنى جمع بالآية الكريمة سياقا وسباقا ولحاقا ومعنى ومقاصد وغاية ؟! ثم ما علاقة هذا كله بفرضية الصيام من عدمه ؟! إنّ من يروّج للأباطيل على الأقل القليل يأتي بالشبهات أو ما يشبهها مما يحار معه العقل قبل الإجابة عنه، أمّا هذا فما أتى بشيء يذكر، اللهمّ إلّا خزعبلات ممزوجة بخرافات.

لكني سأزيدهم بيانا أكثر في مادة (ك ت ب)، وهو أن مادتها تقريبا كلها تدور في فلك الفرضية، ونحن الآن نسألهم منتقلين من هذه المادة إلى مادة أخرى من نفس جذرها الاشتقاقي : فما رأيكم في مادة اكتَتَب ؟!

جاء في كتاب المعجم المحيط للصاحب بن عباد ما يلي : والاكْتِتَابُ : في الفَرْض الفَرْض والرِّزْق ، واكْتَتَبَ فلانٌ : كَتَبَ اسْمَه في الفَرْضِ[30].

وأمّا قاسمة ظهركم، فتتجلّى في سؤالنا لكم عن رأيكم في مادة كِتَاب، أليست مشتقة من الجذر كتب، ألم يقل أحدكم بطريقة ضمنيّة: إن الصلاة ليست بفرض، واستشهدت بقوله تعالى: { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا } سورة النساء – الآية رقم 103.

لم يكتف هذا التيار بنزع فرضية الصيام، بل تعدّاه إلى نفي كون كلمة "كتابا" المذكورة في الآية الكريمة، تعني فرضا وإلزاما، حيث إن كل ما يتصل بمادة (ك ت ب) الدالة على الفرضية ك "كتابا" يحاول جاهدا نزع مدلولها الإلزامي الذي اجتمع عليه علماء الأمة، من أولهم إلى آخرهم، لا لشيء إلا ليخدم مذهب الشيطان اللعين في إبطال الصيام جملة وتفصيلا، نشأ عن هذا كله فتوى أحدهم بعدم إثمية المفطر عمدا في رمضان، والله المستعان .

[30] ʻAbād, A. (1994). Al-Muḥīṭ fī al-Lughat. Vol. 6 pg. 229.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

واسمع مرة أخرى، ولكن قبل ذلك انزع العصابة السوداء عن عينيك لترى الليل صبحا ولا تراه ليلا، انزعها واسمع ما قاله العلماء الربانيون المحققون:

يذهب الإمام محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح نقلا عن الإمام الجوهري في معجم الصحاح أن لفظ كتاب تعني الفرضية والإلزام، حيث يقول : "والكِتابُ" أيضا الفرض والحُكْم والقدر[31].

ويتوسّع اللسان في المادة ، مستشهدا بقوله تعالى من سورة النساء : كتابَ الله عليكم ، أي فرضا وإلزاما ، وهو يشير هنا إلى قوله تعالى من أول الحزب : { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً } سورة النساء – الآية رقم 24 .

يعلّق صاحب لسان العرب على إعراب { كتاب الله عليكم } بإنه مصدر دال على الفعل ، أي كتب المحذوف الدال على الفرضية والإلزام ، بكون هذا الإعراب القاضي بإلزامية المادة هو قول حُذَّاق النحويين ، وأتركم الآن مع الإمام ابن منظور حرفًا وكلمةً ، حيث يقول في معجمه العظيم : والكِتابُ يُوضَع موضع الفَرْض ، وقيل معناه أَي بفَرْضِ الله تَنْزيلاً أَو أَمْراً بَيَّنه على لسانِ رسوله صلى الله عليه وسلم ،وقولُه تعالى : " كِتابَ اللهِ عليكم " مصْدَرٌ أُريدَ به الفِعل أَي كَتَبَ اللهُ عليكم ، قال وهو قَوْلُ حُذَّاقِ النحويين ، قوله « وهو قول حذاق النحويين » ، ويعلق محققو اللسان : هذه عبارة الأزهري في تهذيبه ونقلها الصاغاني في تكملته[32].

وعليه يكون قوله جلّ في علاه : { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا } أي فرضا إلزاميا في وقتها المحدد لها ، استنادا لأقوال أئمتنا الكبار ، وكما أُجمع عليه في جميع كتب غريب القران والتفسير ، لا كما ادعى هؤلاء هداهم الله من هذا الضلال المبين.

– السياق المحرّم عندهم ، يُحتِّم فرضية الصلاة :

[31] Al-Rāzī, M. (2017). Mukhtār al-Ṣiḥāḥ. pg. 234.
[32] Ibnu Manẓūr. Lisān al-‘Arab. Dār al-Ma’ārif. taḥqīq ‘Abdullāh al-Kabīr, Muḥammad Ḥasab Allāh, Hāshim al-Shāzilī. pg. 3817.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

قليل من قليل دواء الفهم، مع شيء يسير من قطرات المنطق مع بضعٍ من زخات غيث البصيرة، لو تناولها هذا التيار فسيشفى من خرجاته، حيث سيجد أن الله تعالى قبل أن يقول: { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا }-النساء: 103- قد تحدَّث النظم القراني قبلها عن وجوب إقامتها في أعسر الظروف وأضيقها على العبد، حيث لم تسقط الصلاة على المحاربين في ساحة الحرب لإعلاء كلمة الله - وهي العليا - وهم فيما عليه من عنت ومشقة وحذر شديد، مع منظر مخيف من تناثر الأعضاء، وتقاذف الأشلاء، وزهق عظيم للأرواح، ومع ذلك جاء الشرع الحكيم ليبيّن عظمة الصلاة ومكانتها، بحيث أتى بصورة تطبيقية عملية، لكيفية أدائها حال الحرب القائمة، يقول الله تعالى جل في علاه :

{ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } سورة النساء – الآية رقم 102 .

بعدها يقول الله تعالى: { فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا } سورة النساء – رقم الآية 103.

فبالله عليكم ، إنّ هذا هو الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟! ، سياق الآية وسباقها ولحاقها ، مع مدلولها اللغوي المجمع عليه ، كلها أمور تدل على فرضية الصلاة ، انطلاقا من مادتها اللغوية ، { فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا } .

وبعد هذا أرى هؤلاء ومن سار مسارهم يتبجّحون بسؤال آخر ، يدل على عمق أزمة مذهبهم النفسية والعقلية الناتجة عن تفريخ الجهل من بيض العناد ، في عش التعالم المتهالك لعقل مفلس مظلم ، طمست عليه رياح الكره ومحاربة الدين بشتى وسائل التنوير المقلوب المنكوس، والسؤال هو كالتالي : يقول أحدهم بما في معناه ، إذا كان الله تعالى يريد فرض صيام رمضان، فلماذا لم يفرضه بالفعل فرض عليكم بدل كتب عليكم ؟!

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

وقبل الإجابة عن هذا السؤال ، أودّ من كل قلبي أن ينصت المسلمون من المحيط إلى الخليج وفي كل مكان من المعمورة إلى هذا الجواب الرباني العظيم ، الذي يبرز بالأساس عظمة إعجاز كتاب الله البيانيّ الذي لا يعرف فيه مذهب هؤلاء نقطة في حرف ولَا يملكون فيه نقيرا ولا قطميرا .

– الفروق الجوهرية البيانية بين (كتب) و(فرض) :

مما لا شك فيه أن توقيع القران الكريم بكلمة دون سواها يحتاج إلى تأمّل عميق وتبصّر حكيم يحذوهما تصرّف دقيق وغميس في علوم البيان خصوصا، وعلوم اللغة عموما، وقبل الخوض في الفروق الجوهرية بين "كتب على وفرض"، والحكمة البيانية النفيسة بينهما، أودّ أن أهتبلها فرصة وأنا أرد مطاعن هؤلاء عن شرع ولغة كتاب الله جلّ في علاه في بيان افتراض علمي كنت قد بسطت له مبادئه البيانية منذ القديم، يصبُّ في نظرية النظم بقوة ومبدؤه هو كالتالي :

لا يختار القران العظيم كلمة دون غيرها إلّا وهي تفي بيانيا جميع صور ما تحمله الآية الكريمة من معان غميسة ونفيسة، بل و بما تحمله من فروع علمية وفلسفية وفكرية وما إليها، ومثال ذلك سر اختيار كتاب الله تعالى للفعل ضحكت بدل حاضت حيث جاء التوقيع البياني باختيار ضحكت في قوله تعالى :{ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ }–هود:71–

إنّما اختار النظم القراني البياني المعجز الحكيم فضحكت بدل فحاضت لأن لفظ الحيض يفيد فقط الجانب العلمي من كون رحمها مازال نشيطا أو عاد إليه النشاط العمليّ البيولوجيّ في إمكانية استقبال الجنين، وهذا معنى من معاني فضحكت لأن من أسماء الحيض الضحك كما أسلفنا، أما المعنى الثاني الذي لايوجد في لفظ فحاضت، هو الجانب النفسي، وهو مهم جدا لتكتمل الصورة الفنية البيانية التي يريد القرآن العظيم إيصالها إلينا، حيث إن لفظ فضحكت يعني الضحك الحقيقي الذي يكون مع تَبَسُّمٍ يصحبه صوت ، وهذا لأنّ بشارة الله لها بالتفاؤل بتحقق رزقها بالولد، صاحبها استغرابها الناشئ من طبيعتها البشرية، وهذا ما ترجمته بلسانها حيث أكّدت هذا بعد هذه الآية بسؤال مجازي خرج عن حقيقته إلى معنى يستفاد من السياق وهو الاستغراب التام، وفي ذلك يقول القرآن على لسانها: { قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } سورة هود – الآية رقم 72 .

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

وبعد هذا كله أرأيتم ، كم كنتم بعيدين عن الحق والحقيقة بملايير السنوات الضوئية، عندما تسجّيتم في رقاعة جهلكم و تغلّفتم بصفاقة بغيكم وجرأتكم على الله تعالى ودينه ولغة كتابه العظيم ؟! ثمّ هل دريتم حيث جهلتم في أيّ نظرية كنّا نسبح ، لقد خرجت بكم من معالم نظرية النظم للجرجاني إلى أنوار نظرية التصوير الفني لسيد قطب و نظرية الجملة للرافعي.

ولنعد الآن بعد هذا العرض العلمي في افتراضي البياني الذي أسّسته منذ سنوات خلت إلى ما نحن بصدده، وسأجيبكم بمقال أعجبني كثيرا وراقني، وحملني عمقه البياني على وضعه أمام القارئة الكريمة والقارئ الكريم كاملا لا ينقص حرفا ، وهو للأستاذ الباحث "محمد قطب القصّاص" حفظه الله، الذي ربط بين الفرق الجوهري الغميس النفيس بين كتب على وفرض وبين مقاصد ذلك في ضرورة التأدب مع الله تعالى، حيث يقول حفظه الله: "سؤال قد يتبادر لمن يقرأ آيات الصيام فيقف عند لفظ "كتب" ويقول لماذا لم يقل فرض؟

وقد أجاب أهل العلم عن ذلك بأن إلزام الفريضة أقل من كلمة "كتب"، وهذا من باب الاستئناس والحِكم، لأن كلمة "كتب" تحمل معنى فرض وزيادة، وهذه الزيادة هي: أن هذا الأمر قد فرضه الله عليك وسجّله عنده. مثل من اقترض وسجّل القرض ووقّع عليه بخلاف من اقترض ولم يوثق القرض، لذلك كلمة "كتب" تحمل معنى فُرض وزيادة، والزيادة هي التوثيق.

وقوله تعالى {كُتب عليكم الصيام} بالبناء للمجهول، وهذا فيه منتهى التلطف، فالإله العظيم سبحانه إذا كلف بما فيه مشقة بنى الفعل للمجهول؛ حتى لا يقترن اسمه الجليل الحبيب "الله" بالمشقة والثقل والتكليف . وتأمّل في الآيات {كُتب عليكم القصاص}، {كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت}، {كُتب عليكم الصيام}، {كُتب عليكم القتال}..الخ. ثم تأمل في آيات أخرى {كتب الله لأغلبن أنا ورسلي}، {كتب ربكم على نفسه الرحمة} ، {أولئك كتب في قلوبهم الإيمان}..الخ.

فتجد حيث التجليات والنفحات والرحمات بنى الفعل للمعلوم وذكر اسمه: الله أو الرب أو ضميره سبحانه.

وقد وقف العلماء مع قوله تعالى {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، بعد {أَنْعَمْتَ}، ولم يقل غير الذين غضبت عليهم. فالأول {أَنْعَمْتَ} موضع للتقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب، فأسند النعمة إليه لفظا، وزَوَي عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

ومن هنا يُعلم كمال أدب الأنبياء والمرسلين والصالحين، فإن الخضر عليه السلام عندما خرق السفينة وفعل فيها ما ظاهره فعل سوء، قال مخبراً {وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها}، ولم يقل: "فأراد ربك أن أعيبها"، بينما قال في الغلامين {فأراد ربك أن يبلغا أشدهما}، ونجد إبراهيم عليه السلام يستدلّ على ربوبيّة الخالق سبحانه بأفعاله فيقول {الذي خلقني فهو يهدين* والذي هو يطعمني ويسقين* وإذا مرضتُ فهو يشفين}، فعندما جاء إلى مسألة المرض نسب المرض إلى نفسه، ولم يقل: "وإذا أمرضني" حفظاً للأدب مع الله تعالى. انتهى[33].

لله در الأستاذ القصّاص على هذا المقال الماتع الباتع، وجعله في ميزان حسناته. أضيف شيئا آخر تعليقا على هذا الكلام السويّ الذي له دويّ، أنه يستخلص مما سبق أنه لعظمة أجر ومكانة الصيام فإن الله كتبه على عباده وكتب ذلك الأجر عنده، فلما عظُم الأجر صاغ الفعل لِمَا لَمْ يسمَّ معلومه بالضرورة، كإشارة بيانية لخفاء الأجر ، وهذا يصدّقه قوله تعالى في الحديث القدسي: { كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به }، رواه الإمام البخاري في صحيحه .

أضيف إلى ما كتبه فضيلته تصورا آخر ردا على هؤلاء ، حيث أتصوّر لو أنه خرج علينا من ضئضئهم مفكّر مفلس آخر يقول: إن من مرادفات كتب الفعلين زبَر ونسخ ، فلماذا لم يردا هنا في السياق؟! ، لماذا بالضبط كتب دونهما؟! وها أنا أقدّم الفروق الجوهرية، دفاعا عن لغة القران العظيم، فاللهم تقبّل منا ومن كل قارئة أو قارئ يقرأ لنا لينفع غيره بما نكتب.

(زبر) الشيء كتبه، لا نختلف في ذلك، لكن زبر تحمل معنى الغلظة، لذا انصرفت إلى كتابة الحروف على الحجر، مما لذلك من غلظة ومشقة، يجدها الزابر أثناء زبره، لذا ألحقوا بمعانيها الزجر لقوته، يقال إن زابور سيدنا داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام سُمِّي بذلك لكثرة زواجره، وانطلاقا من تحليل الأستاذ القصاص فإن المقام مقام فرض وإلزام لا زجر وغلظة، لذا فإن كتب تفي بالغرض لغة وتشريعا وتأدبا مع الخالق جلّ في علاه.

أما نسخ ففيها معنى التبديل والتغيير ، ومنه النواسخ الحرفية والفعلية التي تغيّر من إعراب مركّب الجملة الاسمية الإسناديّ رفعا ونصبا أو نصبا ورفعا ، ومنه سمي علم الناسخ والمنسوخ أيضا كعلم من علوم الكتاب العزيز ، ولأن فرضية الصيام لا تبديل فيها ولا تغيير ولا حكم ينسخها، وظّف النّظم القراني المبارك اللفظة المناسبة في المكان

[33] Maqālat Muḥammad Quṭb al-Qaṣāṣ -m.al-sharq.com.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

المناسب . ولم يكتف أحد مفكريهم بهذا ، بل تعدّاه إلى الافتراء على الله ولغة كتابه، فتحدث عن قوله تعالى : { فمن شهد منكم الشهر فليصمه}، بما لا يمكن أن يوصف في جهلٍ عريض بلغة وبلاغة الكتاب أحد، وبما لا يمكن أن يتجرّأ به على الله تعالى من الأولين والآخرين أحد.

المحور الثالث: عرض تفصيلي لنقد مطاعن هذه المدرسة في تفسير الآية الكريمة :

المبحث الأول: الرد على مطاعنهم في علم الإعراب :

لا يعتمد على أي أسلوب علمي يذكر في تفسير الآية الكريمة ، بل جهل خطير وعريض في الحكم الإعرابي على قوله تعالى: (فَلْيَصمه)، وهو أمر بالاتفاق، فيدعي أنه ليس أمرا، بل هو جواب للشرط فقط.

– المبحث الثاني: الرد على مطاعنهم في البلاغة العربية.

وهو ينفي فرضية الصوم، لم يحسن قطُّ إعادة الضمير في قوله تعالى: فليصمه، ولم يشمّ قط ذرة من عرف عبيرها الفوّاح، حيث ظنَّ بجهله الخطير أن الضمير يعود على رمضان أو صومه، فأقبِحْ به من جهل صادر من مذهب متكلّس بترسّبات الحقد البعيد والتنطُّع الجهول البغيض والصفاقة النادرة والرقاعة البائرة، والله المستعان، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

– القول الفصل في استكناه أسرار قوله تعالى: { فمن شهد منكم الشهر فليصمه }، وحقيقة الوجوه البيانية في الآية الكريمة :

نحن في زمان الرويبضة، فلا عجب أن يتكلّم التافه في أمر العامّة، ولا عجب أيضا أن يتطاول مثل هؤلاء على قوله تعالى فيأتون في حديثهم عن القرآن المجيد بكل عجب عجاب، طارقين للجراءة كل باب، مما يندى له الجبين، ويسقط لهوله الجنين. وأنا أتحدى من هذا المنبر كل متفلسف حاقد على لغة كتاب الله، أن يُحدِّد لي علام عاد الضمير في قوله تعالى فليصمه ؟! إن هذا السؤال لا يستطيع أن يجيب عنه سوى من أعطى للعلم ذاته ، وبسط أوقاته كلها في مثافنة كتب البلاغة العربية .

إن الآية الكريمة تدخل في وجه أصيل من أصول علم البديع الذي يسمى بالاستخدام، فماهو الاستخدام ؟!

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الاستخدام هو أن يأتي المتكلم أو المخاطب بكلمة لها معنيان اثنان : معنى قريب ومعنى مجازي بعيد، فيراد بها في شقها الأول من الجملة المعنى البعيد لا القريب، ثم إن الغريب في هذا النوع البديعي أنه يأتي بعدها ضمير مباشرة يعود لا على معناها القريب ولا على معناها البعيد المجازي المحدد في شقها الأول، بل يعود على معنى ثالث ناشئ من علاقته بالمعنى البعيد المجازي، ولتوضيحها نأتي بهذا المثال : رعت الماشية المطر فشبعت ، فإذا ولّى جاء وقت المصيف.

فليس المقصود بالمطر هنا المطر الحقيقي أي الماء ، إذ لا يعقل أن ترعى الماشية المطر كما أن كلمة فشبعت قرينة دالة على استبعاد هذا المعنى، لأن الشبع يكون بالأكل و لا يكون بالماء وإنما بالارتواء، إذاً المقصود هنا هو النبات كنتيجة حاصلة لنزول المطر، وهذا ما يسمى بالمجاز المرسل وعلاقته السببية، لذكر سبب حصول النبات الذي تخرج إليه الماشية لترعاه، ثم جاء الضمير بعدها المستتر في الفعل ولّى حيث لا يعود هنا لا على المطر ولا على معناه المجازي "النبات"، وإنما عاد على معنى ثالث ناشئ من مفهوم النبات وهو زمانه، أي زمان الربيع أو فصل الربيع ، فيكون المعنى الكامل: إن الماشية ترعى النبات فإذا ولّى زمانه أي زمان الربيع جاء الصيف.

ومنه قول الشاعر:[34]

إذا نزل السماءُ بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

فإن المراد بالسماء هنا المطر، والمراد بالرعي رعي النبات لأن الرعي لا يكون للمطر، لذلك الضمير عاد على النبات الناشئ من المعنى الثاني من لفظ المطر.

وكذلك الآية الكريمة التي معنا ، فقوله تعالى:{ فمن شهد منكم الشهر } أي الهلال المحدد للشهر، وهذا مجاز مرسل علاقته المسببية لأن ظهور الهلال هو نتيجة محددة للشهر القمري وهو رمضان، أما الضمير في قوله جلّ في علاه فليصمه، فهو عائد على المعنى الثالث الناشئ من مفهوم الهلال وهو أيام رمضان، وهذا ما يسمى بالاستخدام، فأين هؤلاء من هذه العلوم، وهذا العمق في التفسير العلمي والسبر المعرفي ؟!

أمّا إعراب قوله تعالى : فليصمه ، فهو يحمل صفتين اثنتين : فهو أمر وجواب للشرط في آن واحد ، فأما كونه أمرا فلدلالة اللام فيه التي تسمى لام الأمر وهي من الصيغ الأربع التي يأتي عليها أسلوب الأمر في الكلام العربي

[34] Al-bayt min al-Wāfir wahuwa li Mu’awid al-Ḥukamā' (mughawiyat Ibnu Mālik), Lisān al-‘Arab. Vol. 14 pg. 399.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

، والتي يجهلونها جهلا تاما ، وهي كقوله تعالى :{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ } سورة آل عمران –الآية رقم 104 .

وأما كونها جوابا للشرط فهذا واضح لتقدم أداة الشرط "فمن" المتصدرة الجملة القرآنية ، واجتماع فليصمه في حال الأمرية وجواب للشرطية أقوى حالات التأكيد على إلزامية صيام رمضان .

–ما حقيقة الأمر هنا ؟ "فليصمه" ، بين الحقيقة والمجاز .

والأمر هنا حقيقي باتفاق العلماء كلهم، ولا يخرج الأمر عن حقيقته إلى كونه مجازا إلا في حالات خاصة يحددها السياق الذي لا يعرفون عنه شيئا مطلقا، ولتحديد الأمر الحقيقي لابد من توافر شرطين أساسين فيه: وهما الاستعلاء والإلزام، أما الاستعلاء فهو كون الآمر أعلى مرتبة من المأمور، وأما الإلزام فهو الفرضية، وكلا الشرطين قد توفّرا هنا، والذي يعضّد هذا أكثر السنة النبوية الشريفة التي يكذّب بها مذهبهم ويطعن فيها بطريقة غير مباشرة في الطعن في كبار أئمتها وعلى رأسهم أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه، وقدّس الله سرّه، حيث تؤكد السنة النبوية الشريفة ركنية الصوم فضلا عن إلزاميته، ففي صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»،[35] صدق رسول الله صلوات ربنا وسلامه عليه، ومادام الحديث في البخاري فلن يؤمنوا به، والله المستعان .

–نكتة بلاغية من درر الإمام ابن القيم :

ثم لنذهب أبعد من هذا ، إن قوله تعالى :{ فليصمْه }، اجتمع فيها مؤكدان لإلزامية الصيام، الأمر الحقيقي وجواب الشرطية، وهنا نقف وقفة متأمل أمام عظمة بيان القرآن الكريم ومقاصده التشريعية، فماذا يكون جزاء إذاً من يخالف أمر الله بعد هذا البيان العلمي التأثيلي الرصين ؟!

المبحث الثالث: مقاصد بيانية بين مخالفة الأمر والنهي، أيهما أثقل خطورة ؟!

[35] Al-Bukhārī, M. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. Vol. 8 pg. 4515.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

لنأت في آخر مقالنا هذا لندرس علميا في ضوء كتاب الله تعالى، دعوة هؤلاء الناس للأفطار في رمضان لأنه في زعمهم الهاوي ليس فرضا، فبعد هذا البيان العلمي المستفيض كما ترون أيها القراء الكرام، ننتقل لبيان عِظَمِ افترائهم وجرأتهم على الله تعالى وحدوده ودينه ولغة كتابه الكريم، فإلى كل من اغترّ بقولهم أو صدّقه أو صفّق له، اسمعوا جيدا، ما استخلصه الإمام المجتهد العالم الرباني شيخ الإسلام تلميذ شيخ الإسلام العلّامة العارف بالله ابن قيم الجوزية رضي الله عنه في بديع فوائده، حيث يرى أن مخالفة الأمر والنهي كليهما خطر وخط أحمر، ولكن مخالفة العبد للأمر أشد خطورة من مخالفة النهي، وإن كانت مخالفة كليهما وبال وهلاك، ويجب على العبد الامتثال، والسؤال المطروح، من أين استنبط هذا العقل العظيم الذي يتميّز به هذا العارف بالله الكبير هذا المقصد التشريعي البياني ؟!

استنبطه الإمام من قصتين متعاقبتين في الحزب الأول من سورة البقرة، ففي القصة الأولى يأمر الله تعالى الملائكة ومعهم إبليس السجود لسيدنا آدم، فيأتي عصيان إبليس لأمر الله تعالى، لأن الله تعالى قال : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } سورة البقرة – الآية رقم 34 .

ولفظ (اسجدوا) صيغة أمر من صيغه الأربع ، في حين في القصة الثانية بعد هذه مباشرة يأتي نهي الله تعالى لنبيّه آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وكذا لزوجه حواء عليها السلام عن الأكل من الشجرة ، والأنبياء معصومون عليهم الصلاة والسلام ولكن كما يقول الشيخ الصالح العارف بالله الجنيد: "حسنات الأبرار سيئات المقربين"، مع اعتبار قسم الشيطان لهما بالله تعالى كذبا، هنا يقول الله تعالى: { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } سورة البقرة – الآية رقم 35 .

فالله تعالى جازى من خالف أمره وهو إبليس اللعين بطرده من رحمته ولعنه، وأما سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام وحواء فقد تاب عنهما، وذلك في قوله: { فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } سورة البقرة – الآية رقم 37 . صدق الله العظيم، ولتتقوا الله ولا يغرّنكم حلمه عليكم[36].

– جهلهم بمقاصد الأمر الرباني بين حب الله تعالى والأمر البياني :

[36] Ibnu al-Qayyim. Al-Fawā'id.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

من مقاصد الأوامر الشرعية أنها جاءت على نوعين اثنين وضربين لا ثالث لهما بعد دراسة العلماء لها، وهي الأوامر المعقولة المعنى والأوامر اللامعقولة المعنى، ارتأينا أن نربطهما بأعظم مبدإ وهو حب الله تعالى، ونرد من خلال ذلك كله على الجهلة الذين يهرفون بما لا يعرفون، فما الفرق بينهما ؟!

الأوامر المعقولة المعنى هي الأوامر الرّبّانية الجليلة السامية الصادرة من رب العزة جلّ في علاه لعباده، وتتميّز بكونها معقولة المعنى أي أن الحكمة منها ظاهرة وبيّنة للعباد، وأما غير المعقولة المعنى، فهي الأوامر الربانيّة الجليلة السامية التي خفيت حكمتها على العباد، وهي تحمل الحكمة في ثناياها ولكنها خفيّة.

أما الأولى التي هي الأوامر المعقولة المعنى ذات الحكمة الظاهرة فكأمر الله تعالى لعباده بقوله :{... وكلوا واشربوا } سورة الأعراف – الآية رقم 31.

فهذان الأمران اللذان جاءا على جهة الاستحباب في سياق الجملة معقولا المعنى، لأن أي إنسان يعرف مدى حكمة الأكل والشرب وضروريتهما لقوامه واستمرار حياته منذ الخليقة إلى آخر مخلوق، فهما يزوّدانه بالطاقة بعد أن يُهضم الجميع في أعظم معمل في التاريخ كما يقول العلامة كريسي موريسون في كتابه " العلم يدعو إلى الإيمان "، بعدها توزّع المعدة فوائد الطعام مجزّأة حسب طلب الخلايا من بروتينات وفيتامينات وغيرها عبر وسيلة السائل الأحمر الحيوي الدم إلى باقي أعضاء الجسم. فهذان الأمران معقولا المعنى، فالمؤمن والكافر والملحد والمشرك والشيخ والعجوز والصغير والمرأة والرجل على العموم لا يمكن لهم أن يستمروا في الحياة بدون عمليتي الأكل والشرب، لذلك الأمر بهما معقولان في المعنى لدى الجميع كما بيّنا.

أما الأوامر غير المعقولة المعنى المتضمنة للحكمة الخفية فهي كأمر الله لأم سيدنا موسى على نبينا الكريم وعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بقوله : { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } سورة القصص – الآية رقم 7 .

فالأمر هنا في قوله تعالى فألقيه في اليوم أمر عجيب وغريب، حيث إن القياس المنطقي البشري يقتضي أن الأم التي تخاف على ابنها من كيد الفرعون وبطشه والتي جعلته في تابوت أن يأتي الأمر إليها بضمه مثلا، فكيف يقول الله تعالى: { فإذا خفت عليه فألقيه }، كيف يكون الخوف على شيء من شيء هو إلقاؤه فيه ؟! إن هذا الأمر

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

العجيب الغريب عن طبيعة العقلية البشرية، وإن خفي عن عقول العباد يحتوي على حكمة خفيّة ضمنيّة عظيمة جدا، ولقد اجتهدنا في استكناهها فوجدناها كما يلي :

لا يخفى على من درس علم الحب بعمق أنه يرى أن من صفات المحب المخلص أن يتّبع محبوبه وإن أتى محبوبه بما لايستوعبه عقله، كقول سَمْنُون المحبّ من أعلام الفقه والتصوّف السني في القرن الثالث عن محبة الله تعالى :

ولو قيل طأ في النار أعلم أنّـه رضىً لك أو مدن لنا من وصالكا

لقدّمتُ رجلي نحوها فوطئتُها سروراً لأني قد خطرتُ ببالكـــــا[37]

فهذا هو الحب الحقيقي القائم على طاعة المحبّ في أوامره دون تفكير أو إعمال عقل، فلو كان رضاه سبحانه في أن يطأ سمنون رجله في النار لما تأخّر لحظة في ذلك، استدرارا لرضاه ، مع أن هذا العبد يعلم يقينا ما للنار من أضرار، ولكن تلك الأضرار ستمحي ويذوب ألمها في سماء محبّته سبحانه.

هذا الأمر يجرّنا إلى مسألة هامة جدا ، وهي أن الله تعالى لما يأمر عباده بالأوامر غير المعقولة المعنى فلكي يختبر محبتهم له في المقام الأول، لأن المحب يفعل ما يأمره به محبوبه وإن كان أمره على غير هواه أو خلافا لطبيعته المنطقية، نجد ذلك في أركان الحج وشعائره، فالطواف حول حجر، وتقبيل حجر، والوقوف على حجر، و ضرب حجر بحجر، لو نزعت من سياقها التشريعي أكان العقل البشري يصدقها أو يؤمن بها ؟! لكن عندما صدرت كأوامر من رب العزة لعباده أن يفعلوها فعلوها تقربا إليه هو جل في علاه، وإن كانت الحكمة من فعلها خفية عن العقل، وهذا كله دليل على المحبة الصادقة، يترجم هذا كله قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أمام الحجر الأسود: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ[38].

بعد هذا أرى أيها القراء الكرام أنكم تلمستم الحكمة من أمر الله تعالى اللامعقول المعنى لأم سيدنا موسى، اختبارا لمحبتها له ، فالله يأمرك بما يستغرب منه العقل، فإذا جاء الأمر من المحب غلب سلطان الحب على سلطان العقل. وقبل أن نلج إلى الآية التي معنا محور مناظرتنا، أود أن أنبهكم أيها الأكارم أن الآية التي هي في نظري، جمعت الأمر المعقول المعنى وغير المعقول المعنى، أمر الله تعالى لمريم عليها السلام أم سيدنا عيسى على نبينا الكريم وعليه أزكى

[37] Dīwān Samnūn al-Muḥib - https://download-islamic-religion-pdf ebooks.com/25828-redirect– pg. 7.
[38] Ṣaḥīḥ Muslim. pg 1270.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الصلاة وأفضل التسليم بقوله سبحانه: { فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ۝ وَهُزِّيَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ۝ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً } سورة مريم – الآية رقم 24 و25 و26 .

أما الأمر غير المعقول المعنى فهو أمره تعالى لمريم بقوله: { وهزي إليك بجذع النخلة }، فأمره تعالى بهز الجذع يحتاج إلى بيان حكمة خفية جدا، خاصة وأنه تعالى في بادئ أمر مريم رضي الله عنها كان يكرمها بكرامة ربانية منه، حيث يرزقها بما يحار معه العقل البشري ،فيسوق إليها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وهذا يترجمه قوله تعالى: { قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } سورة آل عمران – الآية رقم 37.

إذاً ألا يحق لنا أن نتساءل عن سر سوق تلك الكرامة لها وهي في كامل نشاطها و سوق الأمر إليها بهز جذع النخلة على صعوبته، وهي في حالة مخاض يضعف البنية الجسدية ؟!

يجيب عن هذا الإمام اليافعي في كتابه "روض الرياحين في حكايات الصالحين"[39]، حيث استكنه الحكمة من منظوره الخاص واجتهاده الذاتي، فذهب إلى أنه يمكن ذلك في صورة كون العبد عندما يلج أول ما يلج إلى طريق الله تعالى يحتاج إلى ما يعينه ويحفّزه على مواصلة السير فيها، وهذا مايسمى في الشريعة وعند السادة الصوفية واليافعي منهم بالكرامة، التي هي هبة ربانية من الله تعالى إلى عبده السالك، ولأن مريم في باكورة أمرها كانت مرفوضة من طرف اليهود حتى بنى لها نبي الله بيتا فوق المعبد، احتاجت إلى كرامة تثبت بها قدميها على الطريق فجاءت في شكل ما رأيناه في الآية الكريمة، ولكنها عندما رسخت قدمها في طريق الله لم تحتج إليها، فجاء بدل الكرامة الأمر الرباني غير المعقول المعنى المتضمن لحكمة خفية وهي تنفيد أمر الله تعالى ولو في حالة خاصة تستدعي الراحة كآية من آيات الحب المخلص لله تعالى.

والآن وبعد هذا كله، نتوجه لهؤلاء مرة أخرى، أرأيتم كم كانت جرأتكم الرعناء إذ ارتقيتم مرتقى صعبا ما أنتم بالقادرين على سلوك ذرة منه، فضلا عن الخوض فيه، هل كنتم تعلمون الأمر المعقول المعنى من الأمر غير المعقول المعنى، وهل عرفتم مقاصد كلٍّ منهما وحكمة وروده في كتاب الله تعالى وصيغ توظيفه ؟! هل تعلمون أن أمر الله لعباده بالصوم، كان معقول المعنى وازداد وضوحا مع التقدم العلمي المهول الذي يشهده العالم ؟!

[39] Al-Yāfī'ī. (2019). Rawḍ al-Rayāḥīn. Maktabat Zahrān.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

لو اطلع العالم بمختلف أشياعه وطوائفه على فوائد الأمر بالصيام اللامعقول المعنى لفرضوه على أنفسهم :

لقد أثبت العلم الحديث على لسان الدكتو عبد الدائم الكحيل المختص في الإعجاز العلمي في القرآن السنة عن وجوه عظيمة للصوم على الطريقة الإسلامية، أجرتها كبريات الجامعات العالمية في الأبحاث العلمية البيولوجية والعصبية، حيث أثبتت الدراسات الحديثة أن الصوم يجعل الدماغ يأمر بتكوين خلايا عصبية فضلا عن إمكانية التخلص من الخلايا الهرمة والسرطانية.

أزيدكم سؤالا آخر علميّا رصينا، فلقد علّمناكم الفروق الجوهرية بين الأمر المعقول المعنى، والأمر اللّامعقول المعنى مع مقاصد كلٍّ منهما، والآن أسألكم هل تعرفون الفرق بين أمر الابتلاء وأمر الإمضاء؟! أريد منكم أن تقرؤوا المفهومين بشكل جيّد، ثم أن تقدّموا لي تعريفا لهما، مجرَّدَ تعريف فقط إن استطعتم، ثم محاولة أن تعرفوا السر في سؤالي لكم عنهما، حيث أن أحدهما وثيق الصلة بالأمر بالصيام وإثبات الفرضية له فرضية كاملة، ولأنكم تعلمون قطعا أني أعلم جزما جهلكم بهما، أقدّم لكم الجواب، ليس كرامةً لكم، بل كرامةً لله تعالى ثم لأجل من غُرِّر بهم بجهل هذا المذهب المستطيل وتطاوله المكَعَّب.

المبحث الرابع: الفروق الجوهرية بين أمر الابتلاء وأمر الإمضاء وعلاقة أحدهما بفرضية الصيام.

أمر الابتلاء يختلف عن أمر الإمضاء، وكلاهما أمر صادر من رب العزة والجبروت جلّ في علاه، فأمر الابتلاء يكون على سبيل التجربة، ومَحَطِّ العبد في محكِّ الاختبار والمحنة، كأمر الله تعالى بذبح خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم لابنه إسماعيل على أصح الأقوال وأقواها فيما ذهب إليه الإمام ابن العربي في " القول الصريح "، وشيخنا الإمام نجم الدين الطوفي في " الإشارات "، وهذا الأمر تمثَّل في قوله تعالى: { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } سورة الصافات – الآية رقم 102 .

فصيغة الأمر جاءت هنا متضمَّنَة من قول سيدنا إسماعيل: "افعل ما تُؤمر"، فهو أمر منه سبحانه لعبده وخليله إبراهيم بذبح ابنه، وهو أمر ابتلاء في اختباره سبحانه لخليله الكريم على وجه عملي تطبيقي، إذ أن الأمر هنا ليس أمر إمضاء، إذ لو كان كذلك لنفّذ فعل الذبح، ولكن الله تعالى أراد فقط أن يظهر لعباده درسا في المحبة الخالصة

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

كيف تكون، وكيف أنه سبحانه لقّبه بالخليل حيث يستحقّ درجة الخُلّة عليه الصلاة والسلام لفظا ومعنى، وكما ذهب السادة الصوفية أن الذبح هنا في حقيقته هو مجاز خفيّ أي أن الله تعالى لما أمر خليله بذبح ابنه، إنما هو في حقيقته أمره أن يذبح بقوّة خُلّته لربه وبسببيّة سكّين العزيمة حبَّه لابنه إسماعيل، حتى لا يبقى مكان في قلبه إلا ومُلِئَ بحب الرحمن جلّ في علاه .

أما قوله تعالى فليصمه فهو أمر إمضاء ، إذ أن الله تعالى أمضى أمره الجليل السامي بضرورة تحقيق العباد له ، والسياق أكبر شاهد على ذلك ، فقوله تعالى : { فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } سورة البقرة – الآية رقم 184.

كل ذلك فيه دليل قاطع وبرهان ساطع على فرضية الصيام، لوجود قرائن قوية تدل على ذلك إذ يستثنى منه المريض والمسافر، رحمة بهما، ولأنه ذو فرضية وإلزامية قال بعدها : " فعدّة من أيّام أخر "، أي جبر الأيام التي أفطرا فيها، لأنه فرض من جهة، وركن من جهات أخرى، ثمّ لأهمية هذه الفرضية التي تجر كل خير وبركة على الصائم قال تعالى في آخرها:{ وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون }.

خلاصة عامة:

وهكذا عشنا جميعا أيها القرّاء الأكارم، جوّا علميا رأينا منه ما يؤكد تأكيدا جازما تيه أصحاب الدعوى الباطلة، وتذبذب مذهبهم، وتهافت قولهم ،وبطلان تفاسيرهم و تآويلهم، حيث ما تركنا كما وعدناكم ما له صلة بيانية ومقاصدية لمدلولات الأمر في كتابه الله تعالى، إلا وأتيتُ به مفصّلا بطريقة منهجيّة، زاوجت بين أسلوب الرد العلمي المنهجي، وبين أسلوب التلقين والتعليم الذي ما أحوج الكثير إليه ممن يتطاولون على لغة كتاب الله سبحانه، ودينه الكريم، فيكون لهم ترياقا من سموم الجهل المريض والتنطّع البغيض.

إن هذا التيار الذي ينفي وجوه الترادف الدلالي في اللغة ويبني عليه مزالق في فتواه الخطيرة، لهو صورة مصغّرة من أساطيل مُتَرْسَنَة تخدم ليل نهار لمحاربة لغة ودين الله تعالى، وما هذا التأويل المتمحّل إلا امتداد لمذاهب فاسدة ظهرت في القرون السالفة للأسف الأشد، وليعلموا أنهم بمطاوعتهم هذه قد خسروا الكثير من دينهم وآخرهتم، ويمكن

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

لأيِّ طفل صغير أن يضحك من مذهبهم وأن يسخر من دعواهم، إذ كيف يُعقل أن يربط فرضيةَ شيء فرضه الله تعالى بالفعل فرض دون غيره، إذ لو كان الأمر كما يدَّعي لسقط الدينُ جملةً وتفصيلًا، فهل فرضية الصلاة والصيام وغيرهما وقعتا في القرآن بالفعل فرض ؟! أين تجدون فرضت عليكم الصلاة، وفرض عليكم الحج، وفرضت عليكم التقوى و فرض عليكم القتال في سبيل الله ؟! بل تجد الفرضية تارة تأتي بصيغة الأمر اللازم الخالي من أي قرينة تصرفه عن معنى الوجوب كقوله تعالى: { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة } سورة البقرة – الآية رقم 43 ،أو { كُتِب عليكم القتال } سورة البقرة – الآية رقم 216، والأمثلة كثيرة، لا يحصرها مثال واحد.

أما نفيهم للترادف وتعدّد المعنى الواحد للمفردة، فلو أنهم اطّلعوا على اللهجة الدارجة المغربية مثلا لوجدوا كيف أن للكلمة الواحدة عدة معان تتقلّب تارة بدلالة، وتارة بدلالة مخالفة للأولى، مثال ذلك كلمة " ضْرَبْ " في الدارجة المغربية حيث لها معان عدة؛ فهل "ضرب دويرة " ، هي "ضرب يديه في الاختبار " هي " ضربها بتحميمة "، هي "ضربها فلولدر"، وهكذا دواليك في الدوارج العربية الأخرى. فإذا لم تنكروا هذه في دوارجكم المختلفة، فلماذا تنكرونها إذاً في كلام الواحد الأحد جلّ في علاه؟ فإن الفعل " أتى" له ستة عشر معنى في كتاب الله تعالى ، فقوله تعالى: { أتى أمر الله فلا تستعجلوه } سورة النحل – الآية :1– له معنى ، و يأتيَك في قوله تعالى: { واعبد ربك حتى يأتيَك اليقين } سورة الحجر – الآية: 99– له معنى ، وهكذا، فإن أردتم التوسع ونفي الجهل عن نفوسكم فاقرؤوا كتاب "قاموس القرآن" للإمام الدامغاني[40].

وهكذا نخلص إلى أننا مارددنا على هذا المذهب الذي بدأ بالتوسّع في بلاد الإسلام للأسف الشديد ، إلا لكوننا نرى في ردنا عليه إسكاتا لصوت الباطل ، وقلعا لجذور نبتة استشرى خطرها ، وطعمها من لا علم عندهم ، فتخدّروا بسمّها ، وما هذا الرد على هؤلاء إلا كما قال الحكيم قديما :

" لكلّ فعل رد فعل " ، لذلك فأنا ما أردت من ردي هذا إلا أن أوقظ الوسنان حبا في لغة كتاب الرحمن .

ثم طمعت من الله تعالى أن يكون هذا الردّ سبيلا لرجوعهم إلى الحقّ ، وسببا في هدايتهم وأوبتهم ، والنزوع الفعليّ إلى التوبة ، والتخلّص من الحوبة .

[40] Al-Dāmarānī. Qāmūs al-Qur’ān. taḥqīq ‘Abd al’Azīz Sayyid al-Ahal. Dār al-‘Ilm.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol6no1.1
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

فلتتقوا الله تعالى، اتقوا الله الذي غرّكم حلمه عليكم ، اتقوا الله فالتقوى هي السلاح الأقوى ، فستذهب الشهرة ويذهب المصفقون لكم ، وسيطير زهوكم بنفوسكم ، وستبقى الحسرات تلو الحسرات لجرأتكم العظيمة على دين الله تعالى وعلى لغة كتابه العظيم ، اتقوا الله في نفوسكم ، وفي أمّة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام الذي كذّبتم بشريعته وبسنته ، اتقوا الله فالمستقبل شديد الظلمة وأنتم ممّن سوّدوه بسواد جهلكم وطعوناتكم في دين الواحد ، اتقوا الله ، فغدًا يموت العلماء الربانيون المخلصون ، ويبقى الخفافيش في الظلام .

References

Al-Akhḍarī. Al-Jawhar al-Maknūn. taḥqīq Muḥammad Nasīf. Markaz al-Baṣā'ir li al-Baḥth al-'Ilmī.
Al-Anṣārī, I. Mughnī al-Labīb. taḥqīq Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd. Dār Ibnu Kathīr.
Al-'Arnatī, M. (2012). Al-Mustaqil bi al-Mafhūmiyyat fī Ḥal al-Alfāẓ al-Ajrūmiyyat. Dār al-Nawādir.
Al-Bukhārī, M. (1904). Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. Dār Ibnu Kathīr.
Al-Dāmarānī. Qāmūs al-Qur'ān. taḥqīq 'Abd al-'Azīz Sayyid al-Ahal. Dār al-'Ilm.
Al-Ḥarīrī. (1978). Maqāmāt al-Ḥarīrī. Dār Bayrūt.
Al-Ifrānī, A. Ṭal'ah al-Mushtarī. (Kitāb Mafqūd).
Al-Jāḥiẓ. (1968). Al-Ḥayawān. taḥqīq 'Abd Salām Hārūn. Maṭba'at Musṭafā al-Bābī al-Ḥalabī.
Al-Maqdisī, A. (2007). Dawū al-Sārī ilā Ma'rifat Ru'yat al-Bārī. Al-Maktabat al-Islāmiyyat. Dār al-Sirāj al-Munīr. Ṭab'at ūlā.
Al-Naqawī, A. Bahjat al-Naẓr. Dār al-Intishār al-'Arabī.
Al-Qayrawānī. (1907). Al-'Umdah. Maṭba'at Sa'adat. Ṭab'at ūlā.
Al-Rāzī, M. (2017). Mukhtār al-Ṣiḥāḥ. Maktabat Lubnān.
Al-Rummānī, Al-Khaṭābī, Al-Jurjānī. Thalāth Rasā'il fī I'jāz al-Qur'ān. taḥqīq Muḥammad Khalaf Allāh, Muḥammad Zaghlūl Salām. Dār al-Ma'arīf - Ṭab'at thalāthat.
Al-Ṣafadī, S. Ikhtirā' al-Khurā'. taḥqīq Fārūq Aslīm.
Al-Shajarī. (1992). Mā Ittafaqa Lafẓuhu wa Ikhtalafa Ma'nāhu. taḥqīq 'Aṭiyat Saqr. Dar al-Nashr Frānz Shtut'art.
Al-Suyūtī. (2003). Al-Ṭirāz fī al-Rāz. taḥqīq Ṭāha Sa'd. al-Maktabat al-Azhariyyat li al-Turāth.
Al-Yāfi'ī. (2019). Rawḍ al-Rayāḥīn. Maktabat Zahrān.
Al-Zabīdī, M. (1984). Tāj al-'Arūs. taḥqīq Ibrāhīm al-Turzī. Dār al-Iḥyā' li al-Turāth al-'Arabī.
Al-Zamakhsharī. (1980). Dīwān al-Zamakhsharī. taḥqīq 'Abd Satā Ḍif. Kulliyyat Dār al-'Ulūm.
Al-Zamakhsharī. (1969). Al-Aḥājī al-Naḥwiyyat. taḥqiq Muṣtafā al-Ḥadrī. Maktabat al-Razalī.
Dīwān Samnūn al-Muḥib - https://download-islamic-religion-pdf ebooks.com/25828-redirect.
Ibnu al-Qayyim. Al-Fawā'id.
Ibnu 'Abād, A (1994). Al-Muḥīṭ fī al-Lughat. 'Alam al-Kutub. Ṭab'at ūlā.
Ibnu Durayd. (1928) Al-Malāḥin. Al-Maṭba'at al-Salafiyyat.
Ibnu Manẓūr. Lisān al-'Arab. taḥqīq 'Abd Allāh al-Kabīr, Muḥammad Ḥasab Allāh, Hāshim al-Shāzilī. Dār al-Ma'ārif.
Ibnu Salām. (1996). Al-Gharīb al-Muṣannaf. taḥqīq Muḥammad al-'Ubaydī. al-Majma' al-Tūnisī Dār Saḥnūn. Ṭab'at Thāniyat.
Iqbāl, A. (1987). Fī al-Urzi wa mā Ilayh. Maṭba'at al-Najāḥ al-Jadīdat. Ṭab'at ūlā.
Majma' al-Lughat al-'Arabiyyat. Al-Mu'jam al-Wasīṭ. Ṭab'at khāmisat.
Makhlūf, H. (1995). Kalimāt al-Qur'ān Tafsīr wa Bayān. Hay'āt al-Irathah al-Islāmiyyat al-'Alamiyyah.
Makram, A. (1996). Al-Mushtarak al-Lafẓī fī al-Ḥaql al-Qur'ānī. Mu'assat Risālat Bayrūt. Ṭab'at thāniyat.
Mā Lam Yunshar min Maqāmāt al-Suyūtī. taḥqīq Marzūk 'Alī Ibrāhīm. Dār al-Bukhārī. Ṭab'at ūlā.
Maqālat Muḥammad Quṭb al-Qaṣāṣ -m.al-sharq.com.
Mas'ūd, J. (1992). Al-Rā-id. Dār al-'Ilm li al-Malāyīn. Ṭab'at sab'at.
Nāṣif, M. Qirāah Thāniyah li Syi'rinā al-Qadīm, Dār al-Andalūs.
Zahran, A. Daḥḍ Muftarayāt. Rābiṭat al-'Alam al-Islāmī.